التصنيف في الفهارس والأثبات
لدى علماء غرب إفريقيا خلال القرنين 11هـ - 13هـ

د. عبد الرحمن خليفة جالو
باحث في التاريخ والدراسات الإفريقية – مالي

على الرغم مما لفهارس شيوخ منطقة غرب إفريقيا وإجازاتهم، خلال القرنين ١١هـ-١٣هـ، من أهمية كبرى في نشر العلوم الإسلامية بالأسانيد المتصلة، ومن كونها أفضل الوسائل للإبقاء على تسلسل الإسناد الذي هو من خصائص الأمة المحمّدية، وما لها من إسهام كبير في الكشف عن جانب من تاريخ الحركة العلمية والثقافية للمنطقة، على الرغم من ذلك كله فإن دراسة الفهارس بصفةٍ خاصة باتت من الأمور التي أغفلها كثيرٌ من المعاصرين، ولم يعيروها اهتماماً كبيراً؛ قد يعود العامل في ذلك إلى كون الفهارس والإجازات مادةً عسيرة الاستيعاب تدعو إلى شدة التركيز، ولا تفصح عن ذاتها إلا للمتخصص وفي مستويات محدودة، أو باعتبار كون معظمها في عداد المخطوطات كائنةً على رفوف المكتبات الخاصة والعامة، فيتعذر الوصول إليها لتحقيقها تحقيقاً علمياً جيداً توفيراً لها في متناول أيدي الباحثين، أو كون قسطٍ كثيرٍ منها في عداد الكتب المفقودة.

أهمية الدراسة:

تمثل دراسة الفهارس والأثبات، لدى علماء غرب إفريقيا، خطوةً أساسية لفهم التراث العلمي والفكري في المنطقة، إذ توفر مصادر أولية تكشف عن حركة العلماء، وانتشار المعارف، وتُسهم في تتبع شبكات التعليم العلمي والإجازات الشرعية بين مراكز العلم التقليدية، مثل تُمبُكتو وجِيني وشنقيط وكانو، مما يتيح إعادة بناء تاريخ التعليم ونقل المعرفة الإسلامية. كما تكشف الفهارس عن التنوع الثقافي واللغوي في غرب إفريقيا، كذلك، تُمكّن هذه الدراسة الباحث من تتبع شبكات العلماء والشيوخ، وحركة الإجازات العلمية، والرحلات العلمية، وتساعد في إعادة بناء التاريخ العلمي المحلي، مع إبراز القيمة الحضارية والفكرية لعلماء غرب إفريقيا ودورهم في نقل المعارف الإسلامية عبر الأجيال.

أسئلة الدراسة:

بناءً على ذلك؛ تتخذ هذه الدراسة فهارس بعض شيوخ المنطقة كمُشكِل للبحث؛ لتحديد إسهاماتهم وقيمتها المضافة في حركة التصنيف في الفهارس في العالم الإسلامي؛ كل ذلك بالشرح والتحليل والوصف لها، من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما المقصود بكُتب الفهارس والأثبات التي صنفها علماء غرب إفريقيا خلال القرنين ١١-١٣هـ؟
- ما حدود التفاعل العلمي بين الغرب الإسلامي الإفريقي والشرق الإسلامي العربي كما تكشفه الفهارس؟
- ما دوافع علماء غرب إفريقيا للتصنيف في الفهارس، وأنواعها، ومناهجهم في ترتيبها؟

منهج البحث:

استخدم الباحث منهجاً مناسباً لطبيعة هذه الدراسة، وهو المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل البحث:

تم تقسيم الدراسة إلى أربعة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الفهارس، وأهميتها في التعليم والتوثيق التاريخي لغرب إفريقيا.

المبحث الثاني: اهتمام علماء غرب إفريقيا بالفهارس حال التحمّل.

المبحث الثالث: اهتمام علماء غرب إفريقيا بالتصنيف في الفهارس ودوافعه، وأنواعها، ومناهجهم في ترتيبها.

المبحث الرابع: عرض لنماذج من كتب الفهارس.

المبحث الأول: مفهوم الفهارس، وأهميتها في التعليم والتوثيق التاريخي لغرب إفريقيا:

الفهارس والمشيخات والأثبات والمعاجم والبرامج، هي أسماء لمُسمّى واحد، غير أنّ الملاحظ أنّ علماء منطقة غربي إفريقيا لم يستخدموا هذه المصطلحات التي كانت سائدةً في المشرق والمغرب إلا نادراً؛ بل وظّفوا بدلاً منها مصطلحَي «الأسانيد، والإجازات (غير المفردة)».

والمقصود بالفهارس هنا: الكتب التي يُسجّل فيها المؤلف أسماء شيوخه بعد نضجه العلمي؛ فيترجم لهم مرتباً أسماءهم على حروف المعجم أو دونها، ويبيّن ما أخذه عنهم من المرويات وأنواعها (الكتب والعلوم)، وما حصّل منهم من الإجازات بأسانيدها عن طريق الاستدعاء أو غيره، أو لا يعرّف بهم ولكن يكتفي بمجرد ذكر أسمائهم ومروياته عنهم ملخصاً (تسمية الشيوخ ومروياتهم)، ربما يستطرد؛ فيُكثر من الحكايات والطُّرف والنُّكت والأشعار وكرامات الأولياء.

الواقع أنّ القراءة المتأنية لإجازة وفهرسة علمية معيّنة لِعَلَم من علماء منطقة غرب إفريقيا، أو لعددٍ من إجازاتهم وفهارسهم، ستسمح لنا باكتشاف القيمة الخاصة التي تحملها الإجازة

والفهرسة أو الإجازات والفهارس في أوساط المتعلمين والمشايخ، وهذه القيمة تختلف باختلاف الفهارس والإجازات والمكانة العلمية التي يتمتّع بها كلٌّ من أصحابها، بالإضافة إلى القيمة العامّة التي تحملها تلك الفهارس والإجازات؛ وهي: نقل العلوم من الأجيال المتقدمة إلى الأجيال اللاحقة بطريق الأسانيد، وتخليد ذكرى مشايخ العلوم في صحائف العلم والزمان؛ فبذلك تكون الفهارس من مناجم كتب التراجم والطبقات والتاريخ، والدلالة على أهلية صاحبها للتصدر في التدريس لنشر مختلف العلوم والكتب التي تحمّلها.

تُوقفنا الفهارس على كثيرٍ من الكتب التي قد ضاعت ولم تصل إلينا، كما أنها «تفيد في توثيق المخطوطات التي نعثر عليها وتكون خاليةً من العنوان أو المؤلف أو كليهما معاً، ويكون هناك خلاف في نسبة الكتاب إلى صاحبها، وتنازع اثنين عليها»[(١)].

يمكن أن نصنف فهارس علماء غرب إفريقيا، بهذه الوظائف المحدّدة، في إطار الكتب الببليوغرافية بمقياسها العلمي الحديث.

كما أن فهارس علماء منطقة غرب إفريقيا تساعدنا في مجال التوثيق التاريخي على تحديد سبع مجموعات من الحقائق التاريخية حول الحركة الثقافية في المنطقة خلال القرنين ١١هـ - و١٣هـ/١٧م - ١٩م، وهي:

١- برامج المرويات:

هي الكتب التي احتشدت فيها إجازات علماء المنطقة وفهارسهم، وهي في الواقع تُمثّل جانباً من المقررات الدراسية التي كانت سائدةً في مجالس العلم في القرون الماضية في المنطقة، والتي ربما كانت تتقاسمها- كلها أو بعضها- مع بلاد المشرق والمغرب.

٢- مناهج تحمّل المرويات:

وهي طرق تحمّل الكتب الواردة في أسانيد الإجازات والفهارس عن أهل العلم، فنجد مثلاً: «أجازني بخطّه»، أو «أجازني قراءةً عليه»، أو «أجازني بلفظه»، أو «أجازني مكاتبةً».

٣- برنامج التدريس:

تكشف لنا بعض الفهارس عرضاً عن جداول تدريس الشيوخ في مجالسهم؛ فنجد بعضهم لا تنقطع دروسهم طوال اليوم إلا لأداء الصلوات، ومرض المدرسين، وفترات استراحاتهم، وشغلهم بالسعي في شؤون أنفسهم وأمور الناس، وفي المقابل نجد بعضهم يغتنمون مواسم زمنية معيّنة لعقد حلقاتهم لإقراء بعض الكتب.

٤- البيئات الثقافية وسياق إنتاج المعرفة:

تعكس كتب الفهارس الحركة العلمية في المدن، وأهم مراكز النسخ والوراقة ومستوى إنتاج المخطوطات، والمواد المستخدمة، وحركة تداول الكتب. وأثر التجارة الصحراوية في نشر الثقافة والمعرفة، ومن هنا يمكن للباحث فهم «المشهد الثقافي العام» في القرنين ١١-١٣هـ.

٥- تفاعل ظرف الزمن مع ظرف المكان:

يتحدد في غالب الإجازات المفردة والفهارس مكان تحمّلها وتاريخ ذلك؛ فيستطيع الباحث من خلال هذين العاملين التعرف على مدى انتشار الحركة العلمية في منطقة غرب إفريقيا قوةً وضعفاً في الفترة الزمنية والمكان المنصوص عليهما في الإجازة أو في الفهرسة السودانية.

٦- توثيق الأحداث الثانوية:

أحياناً تُسجّل الفهارس أحداثاً غير متعلقة مباشرةً بالعلم، مثل الجوائح، الحروب، أو تراجع بعض المدن العلمية لحوادث معيّنة حيث توفر تواريخ دقيقة لبعض الوقائع.

(١) عصام محمد الشنطي، أدوات تحقيق النصوص - المصادر العامة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠١٣م، ص٥٩.

٧- الآثار العلمية التي خلفتها برامج المرويات (الكتب التي في الإجازة أو في الفهرسة):

وذلك في كل مرحلةٍ من مراحل تنقلها في المنطقة، في ازدهار علمٍ معيّن، أو في بروز فئة من العلماء الفاعلين فيها وتحديد مستواهم العلمي.

المبحث الثاني: اهتمام علماء غرب إفريقيا بالفهارس حال التحمل:

باعتبار كون الفهارس والإجازات أحد مقومات التعليم الإسلامي في قديم الزمان التي تُخوّل للطالب حق التصدر في المجالس العلمية للإفادة والإقراء؛ حرص كثيرٌ من علماء منطقة غرب إفريقيا على تحصيل الإجازات العلمية والفهارس من بعض أساطين العلم؛ سواءً من داخل علماء المنطقة أو خارجها؛ سواءً كان ذلك التحصيل عن طريق السماع والقراءة على الشيخ (العرض)، أم عن طريق المكاتبات، أم عن طريق رحلات الحج.

أما إجازاتهم وفهارسهم من علماء البلاد السودانية؛ فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١- أجاز محمد بن محمود بَغْيُع الونكري التُّبُكتي تلميذ أحمد بابا التُّبُكتي (ت: ١٠٣٦هـ) جميع مقروءاته عليه وما حصّله من أجوبته وتقييده ومصنفاته وأبحاثه وفوائده إجازة مطلقة من غير تقييد[١].

لقد أجاز أحمد بابا التنبكتي بهذه الفهرسة كثيراً من علماء منطقة غربي إفريقيا والمغرب العربي.

٢- نال القاضي طالبين بن الوافي بن طالبين الأَرواني (ت: ١١٨٠هـ)، الشهير بـ(سنبير)، إجازةً من شيخه سيدي أحمد بن الشيخ آدّ السوقي أن يروي عنه جميع مروياته عن شيخه محمد بن محمود بَغْيُع التنبكتي من الحديث والفقه وغيرهما؛ فمن جملة ما أجازه: صحيح مسلم، والخصائص الكبرى والصغرى للسيوطي[٢].

٣- أخذ العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت: ١١٦٩هـ) جملةً من الإجازات عن شيخه عبد الله بن محمد بن أحمد البوحسني المغربي[٣].

٤- كتب العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن المختار بن الأعمش العلوي إجازةً وافرة لتلميذه محمد بن الحاج عثمان بن السيد بن الطالب صديق الجماني في أن يروي عنه مروياته في الفقه والحديث[٤]، وقد أورد البرتلي مقتطفات من نصّ هذه الإجازة.

٥- نال محمود بن القصري الإيدلبي النعماوي إجازةً من شيخه سيدي محمد بن الخليفة الكنتي (ت: ١٢٤٢هـ)، في رواية جميع مروياته من الكتب الستة، والمسانيد المعتبرة، وموطأ الإمام مالك، والشفا للقاضي عياض، بسنده عن والده سيدي المختار الكنتي الكبير، وقد صرّح الكنتي أنه قرأ عليه جميع هذه الكتب من أوّله إلى آخره- قراءة بحث وتحقيق- مع المناولة بشرطها المعروف، وأرّخ هذه الإجازة بأواخر رجب الفرد من عام ١٢٣٢هـ/١٨١٦م[٥].

٦- نجد في ثبت صالح بن محمد العمريّ

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبدالحميد عبدالله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٨٩م، ص٣٤.

(٢) الطالب محمد بن أبي بكر الصدّيق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط/١،١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص (١٠٢-١٠٣).

(٣) المصدر نفسه، ص١٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٥) حناني فردوس، محمد الخليفة الكنتي- حياته وآثاره التاريخية؛ مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران، ١٤٢٩هـ-١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م-٢٠٠٩م، ص (٤٨-٤٩).

الفلّاني (ت: ١٢١٨هـ)، المُسمّى بـ(قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر)، الشيخَ المعمّرَ المحقّقَ المدقّقَ محمد بن محمد بن سنة العمريّ الفلّاني يجيز صاحب الثبت المذكور برواية جملة من الكتب الحديثية مع شروحها عنه بواسطة فهرسته.

أمّا إجازاتهم وفهارسهم من علماء بلاد المشرق والمغرب؛ فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١- في رحلة حجّ القاضي العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت (ت: ٩٩١هـ)، لقي ناصر الدين محمد بن حسن اللقاني الفقيه المصري المالكي الذي لُقّب بـ«شيخ المالكية» في الديار المصرية في عصره، فأجازه جميع ما يجوز له عنه، وأجاز هو العلّامة أحمد بابا التُّبُكتي كذلك[١].

ولقد أجاز أحمد بابا التنبكتي بهذه الفهرسة كثيراً من علماء منطقة غربي إفريقيا والمغرب العربي.

٢- في ١٧ رمضان من سنة ٩٨٨هـ اجتمع بقطب الدين النهروالي بعضُ حجاج بيت الله الحرام من تُنبُكت وجِنِّي وغيرهما، وقدّموا إليه استدعاءً للإجازة لهم ولبعض العلماء الكبار ببلاد تُنبُكت في مروياته الحديثية، وهم: القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، وأحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، ومحمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، ومحمد بن محمود بَغْيُع؛ ليكون ذلك سبباً في نشر علم الحديث الشريف في تلك البلاد، فأسمعهم النهروالي في ذلك المجلس الحديث المسلسل بالأولية من لفظه، ثمّ أجاز لهم في خاتمة إجازته المشهورة بصفةٍ خاصة، ولجميع أهل تُنبُكت وبلاد التكرور ممن أدرك حياته بصفةٍ عامة، أن يرووا عنه جميع ما له من تأليف وكلّ ما رواه عن مشايخه[٢].

لقد اهتمّ علماء المنطقة بهذه الفهرسة التي منحها قطب الدين النهروالي لعلماء غربي إفريقيا منذ عصر المؤلف إلى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، حتى صارت عمدةً؛ بحيث قلّما تجد إجازةً أو فهرسةً في مختلف أقطار هذه المنطقة منذ عصر المؤلف تختص بنقل أسانيد أمهات الكتب الحديثية إلا وفيها بعض أسانيد هذه الإجازة أو كلها.

٣- أثناء تأدية العلّامة أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي السوداني (ت: ٩٩١هـ)؛ والد العلّامة أحمد بابا التنبكتي لفريضة الحج لقي العلّامة بركات بن محمد الحطّاب المكي (ت: بعد ٩٨٠ هـ)، وحصل منه على إجازةٍ علمية[٣].

٤- كما أجاز العلّامة محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي، الشهير بـ«أَيْدَ أحمد» (ت: ٩٣٦هـ)، في أثناء رحلة حجّه عدداً من علماء مكة، منهم: أبو البركات النويري (ت: حوالي ٩١٦هـ)، وابن عمه عبد القادر النويري، وعليّ بن ناصر الحجازي، وأبو الطيب البستي[٤].

٥- وكما حصل العلّامةَ أحمد بابا التنبكتي عن طريق المكاتبة على إجازات اثنين من علماء الحجاز، هما: محمد بن محمد المعروف بحمد فادم الفلّاني، ويحيى بن محمد بن محمد بن

(١) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص٣٥٤.

(٢) إجازات أسانيد عالية وكتب شريفة حديثية كتبها شيخ الإسلام والمسلمين في بلد الله الأمين مولانا الشيخ قطب الدين بن علاء الدين الحنفي المكي القادري الخرقاني لأهل تنبكت والتكرور ومن أدرك حياته؛ مخطوط بمكتبة الباحث، (ورقة: ٦-٧). وانظر: أبو زيد عبد الرحمن التمناري، الفوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة، تحقيق: اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص (٤٠٦-٤١٢).

(٣) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص١٥٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٨٧.

عبد الرحمن الحطّاب (ت: بعد ٩٩٣هـ)[١].

لقد أجاز أحمد بابا التنبكتي بهاتين الفهرستين كثيراً من علماء منطقة غربي إفريقيا والمغرب العربي.

٦- وأجاز العلّامة المعمّر محمدَ ابن سِنَّة الفلّاني السوداني (ت: ١١٨٦هـ) ثلاثةٌ من كبار علماء الحجاز بإجازاتهم، هم: برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني (ت: ١١٠١هـ) مسند المدينة المنورة، وصفيّ الدين أحمد بن محمد القُشَاشي المدني (ت: ١٠٧١هـ)، وأبو الأسرار حسن بن عليّ العُجَيْمي المكي (ت: ١١١٣هـ). وكما أجازه من أهل اليمن: الشيخ أحمد بن العجل وغيره، ومن أهل مصر: الخرشي والزرقاني[٢].

٧- كما أخذ عثمان دان فوي محمد الفلّاني (ت: ١٢٣٣هـ)، وشقيقه عبد الله دان فودي محمد الفلّاني (ت: ١٢٤٥هـ)، فهرسة (ألفية السّند) للعلّامة مرتضى الزبيدي عن شيخهما جبريل بن عمر[٣].

من خلال هذه النماذج؛ يمكن الإشارة إلى مدى الاندماج العميق لعلماء غرب إفريقيا خلال القرنين ١١-١٣ه في الشبكة العلمية للعالم الإسلامي، إذ تعكس تلك النماذج سجّلاً لمسارات الرحلة العلمية التي اتجهت نحو الحجاز ومصر والمغرب واليمن وغيرها، بما تحمله من محطات، وتواريخ، ودوافع معرفية وروحية.

كما تكشف عن انتشار الإجازات العلمية التي تلقاها العلماء الأفارقة من علماء الحرمين ومصر واليمن، الأمر الذي يُبرز الاعتراف المتبادل بالمكانة العلمية، ويُدمج المنطقة في سلاسل الإسناد المشرقية والمغاربية على حدٍّ سواء. وتُبرز الفهارس كذلك انتقال المناهج والكتب عبر الأقاليم، بما في ذلك المؤلفات الفقهية من مراكز العلم في مراكش والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة، مما ساهم في تشكيل المكتبة العلمية لمدن مثل تُمبُكتو وجِنِّي وفوتا تورو، وهو ما يدل على حركة علمية متبادلة. ونتيجةً لهذه التفاعلات المتواصلة تشكّلت شبكاتٌ واسعة تجمع بين علماء غرب إفريقيا ونظرائهم في بقية مراكز الحضارة الإسلامية، بحيث تجاوزت هذه الشبكات الحواجز الجغرافية، وأسهمت في تكوين فضاءٍ معرفي موحَّد، يقوم على وحدة المذهب المالكي وروابط الإسناد والرحلة وطلب العلم.

المبحث الثالث: اهتمام علماء غرب إفريقيا بالتصنيف في الفهارس، ودوافعه، وأنواعها، ومناهجهم في ترتيبها:

بعد تحصيل بعض علماء غربي إفريقيا العلوم والكتب والإجازات؛ رأوا أن يُدوّنوا تلك المرويات والإجازات بأسانيدها المتصلة أو مجردةً منها في الأثبات والفهارس؛ لتكون في متناول مريدها بأسهل الطرق.

يمكن القول إنّ من أهمّ دوافع تأليف علماء المنطقة لفهارسهم ما يأتي:

١- الاقتداء بسنن أسلاف المُحدّثين والقرّاء والفقهاء واللغويين في تدوين أسانيد شيوخهم والتعريف بهم؛ اعترافاً بجميل صنيعهم من خلال الإشهار بهم.

٢- الإبقاء على سلسلة السند متصلةً، حتى لا

(١) أحمد بن محمد المقري، روضة الآسي العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣١١.

(٢) محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٩٨٢، (١٠٢٧/٢).

(٣) عبدالله دان فودي محمد الفلّاني، إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ، تخ: الفاتح قريب الله الناصر الكبرى، من منشورات مكتبة الشيخ مالم كبرا، كانو/ نيجيريا، ١٤٣٤هـ، ص١٧.

تنقطع مع طول الزمن.

٣- الاستجابة لالتماس بعض الأفاضل من صاحب الفهرسة أن يضعها لهم، وليس له عن طِلْبَتهم مندوحة.

٤- رغبة صاحب الفهرسة في الإعلام عن مستنده في النقل.

٥- أن تكون فهارس شيوخهم ذخراً وصدقةً جارية لهم، ونفعاً لطلبة العلم المعوزين.

لعلّ فهرسة أحمد بن محمد الشهير ببابا التنبكتي التي تُسمّى بـ(تشييد منار الإسناد والأثر) هي أولى الفهارس والأثبات المشهورة لعلماء منطقة غرب إفريقيا، وضعها في القرن ١١هـ/١٧م، فقد شهَرَها في المشرق والمغرب العلّامة عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت: ١٣٨٢هـ) في فهرسته.

واستمر ظهور كتب الفهارس في القرن ١٢هـ/١٨م؛ بحيث نلتقي فيه مثلاً بفهرستين: برنامج محمد بن محمد الكشناوي الفلّاني (ت: ١١٥٤هـ)، وفهرسة ابن سِنَّة للشيخ محمد بن سِنَّة الفلّاني السوداني (ت: ١١٨٦هـ).

وإذا انتقلنا إلى القرن ١٣هـ/١٩م نجد حركة الفهارس لم تنقطع، بل ظلت على قدم وساق، إذ نُلفي في هذا القرن: مثلاً أربع فهارس، هي: كتاب (الثمار اليانع في رفع طرق المسلسلات والأجزاء والجوامع، وذكر طرق التصوف وما لها من التوابع)، وكتاب (قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر)، كلاهما للشيخ: صالح بن محمد بن نوح العمري الفلّاني (ت: ١٢١٨هـ)، وكتاب (أسانيد الفقير المعترف بالعجز والتقصير في بعض ما أُخذ بالقراءة أو بالإجازة) لعثمان دان فودي محمد الفلّاني (ت: ١٢٣٣هـ)، وكتاب (إيداع النسوخ فيمن أخذت عنه من الشيوخ) لعبدالله دان فودي محمد الفلّاني (١٢٤٥هـ).

فهارس علماء غربي إفريقيا من حيث أسلوب الكتابة:

تتنوّع فهارس علماء غربي إفريقيا من حيث أسلوب الكتابة إلى ثلاثة أنواع، هي: فهارس مطوّلة، وفهارس متوسّطة، وفهارس موجزة.

فالفهارس المطوّلة:

هي التي يترجم فيها المؤلف لشيوخه مرتّباً أسماءهم على حروف المعجم؛ ويبيّن ما أخذ عنهم من المرويات وأنواعها (الكتب والعلوم)؛ وما حصّل منهم من الإجازات بأسانيدها المختلفة، ربّما يستطرد؛ فيُكثر من الحكايات والطُّرف والنُّكت والأشعار وكرامات الأولياء، ومن أمثلته: كتاب (الثمار اليانع في رفع طرق المسلسلات والأجزاء والجوامع، وذكر طرق التصوف وما لها من التوابع) للشيخ صالح بن محمد بن نوح العمري الفلّاني؛ فقد ترجم في هذا الثبت لمشايخه وما سمعه على كل واحدٍ منهم في فصل مستقل، ثم ذكر أسانيد مروياتهم في فصلٍ آخر.

والفهارس المتوسطة:

هي التي لا يُعرّف فيها المؤلف بشيوخه، ولكن يكتفي بمجرد ذكر مروياته عنهم بأسانيدها، ومن أمثلة هذا النوع: كتاب (قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر) للشيخ صالح بن محمد بن نوح العمري الفلّاني؛ فقد جمع فيه الأسانيد وكتب أهل المشرق والمغرب دون الترجمة لمشايخه.

يلاحظ أنّه يميّز كلا النوعين السابقين من أنواع فهارس الشيوخ: ذكر الأسانيد.

والفهارس الموجزة:

هي التي يُعرّف فيها المؤلف بمشاهير شيوخه دون ترتيبٍ على حروف المعجم، ولكن يكتفي بمجرد ذكر مروياته عنهم ملخصاً دون الأسانيد (تسمية الشيوخ ومروياتهم)، من أمثلة هذا النوع: كتاب (أسانيد الفقير المعترف بالعجز والتقصير في

بعض ما أخذ بالقراءة أو بالإجازة) لعثمان دان فودي محمد الفلّاني، وكتاب (إيداع النسوخ فيمن أخذت عنه من الشيوخ) لعبد الله دان فودي محمد الفلّاني.

وتختلف طرائق ومناهج ترتيب علماء غرب إفريقيا لفهارس شيوخهم؛ إذ لوحظ وجود طريقتين:

الطريقة الأولى: هي تبويبها على أساس الكتب حسب موضوعاتها، ويُمثّل هذه الطريقة أدقّ تمثيل: كتاب (قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر) للشيخ صالح بن محمد بن نوح العمري الفلّاني؛ فقد رتّبه على أساس الكتب التي قرأها على مشايخه وفق نوعية فنونها.

الطريقة الثانية: هي ترتيبها على أساس أسماء شيوخه، سواءً كان ذلك وفق حروف المعجم أو عدم مراعاة ذلك، مثل الفهارس التي انتهجت هذه الطريقة: وكتاب (إيداع النسوخ فيمن أخذت عنه من الشيوخ) لعبد الله دان فودي محمد الفلّاني.

المبحث الرابع: عرض لنماذج من كتب الفهارس:

الظاهر أنّ كثيراً من كتب فهارس علماء غرب إفريقيا ضاع بفعل الحروب الأهلية التي دارت رحاها في المنطقة خلال القرنين ١٣هـ و١٤هـ/١٩م-٢٠م، وبعامل الإهمال في حفظها بطريقة فنيّة محترفة من قِبَل القائمين عليها، ولم يبق من تلك الفهارس في متناول الأيدي إلّا النّزر اليسير الذي يمكن التعريف به وبمؤلفيه على جهة الاختصار على النحو التالي:

أولاً: (تشييد منار الإسناد والأثر) للعلامة أبي العباس أحمد بن محمد الشهير ببابا التنبكتي:

يختلف مؤلف هذا الكتاب عن أحمد بابا التنبكتي المشهور، ولعله جاء بعده بحوالي قرن؛ ويظهر من خلال العديد من رسائله ووثائقه وفتاويه المخطوطة التي توجد نسخها في معهد أحمد بابا للتعليم العالي والبحوث الإسلامية أنه كان قاضياً على تنكبت في عصره.

لا تتوافر معلومات حول هذا الفهرس أو الثبت سوى ما ذكر عبد الحي الكتاني من أن المُحدّث صالح بن محمد العمري المعروف بالفلّاني (ت: ١٢١٨هـ) قد التقى بابن مؤلف هذا الكتاب في تنبكت، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بابا، فأجازه إجازةً مطلقة بجميع مروياته وكتبه بأسانيد والده المذكورة في رسالته المسمّاة «تشييد منار الإسناد والأثر»[١].

ثانياً: برنامج محمد بن محمد الكشناوي الفلّاني (ت: ١١٥٤هـ):

مؤلّف هذا البرنامج هو أبو عبد الله محمد بن محمد الفلاني الكشناوي الدانكوي السوداني، حجّ ومرّ في طريقه بعدّة ممالك واجتمع بملوكها وعلمائها، ودخل مصر وبها مات بمنزل الشيخ حسن الجبرتي، ودُفن ببستان المجاورين[٢].

لم أقف على معلومات حول هذا الكتاب سوى ما ذكره إسماعيل باشا البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ) وعبد الحي الكتاني عن مؤلفه من أن له برنامجاً في مشيخته، ثمّ ذكر الكتاني أنه يتصل بهذا البرنامج من طريق الدمنهوري وحسن الجبرتي، كلاهما عن مؤلفه[٣].

ثالثاً: (فهرسة ابن سِنّة) لمقدم عساكر المحدّثين في البلاد السودانية في عصره:

(١) محمد عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (٢٩٤/١).

(٢) المصدر نفسه، (١٠٢٣/٢). وانظر ترجمته أيضاً في: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي بيروت/ لبنان، (د.ت)، (د.ط)، (٣٢٥/٢)؛ وخير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار/ مايو٢٠٠٢م، (٦٦/٧-٦٧).

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ وإسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (٣٢٥/٢).

محمد بن سِنّة الفلّاني السوداني (ت: ١١٨٦هـ):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن سِنَّة الفلّاني، معمّر حافظ شهير لدى المشارقة والمغاربة والسودانيين، وُلد سنة ١٠٤٢هـ، وجال في بلاد الصحاري والبراري لطلب الحديث النبوي؛ فدخل أرض السودان مراراً، وسوس الأقصى، وشنقيط، وتُوات، وتُنبُكت، وأَروان، ووَلاتة وتشيت، وفاس، ومراكش، وسِجلماسة[١]، حتى تميّز في فنونه.

عدّه عبد الحي الكتاني من حفاظ القرن الثاني عشر الهجري[٢]، ولا يقدح فيه من حاول أن ينفي أو ينزع عنه هذه الصّفة بغير حجّة بيّنة[٣]؛ علماً بأنّ الكتاني وقف على أخبار ابن سِنّة من مصادر متعددة وخَبرها، ومَن علم حُجّةٌ على مَن لم يعلم.

أشار إلى هذه الفهرسة كلٌّ من عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس)[٤]، وخير الدين الزركلي في كتابه (الأعلام)[٥]، وعمر رضا كحالة في كتابه (معجم المؤلفين)[٦]، وذكر الأوّلان أن مؤلفها روى فيها ما بين إجازة وسماع عن ٩٢٠ شيخاً، أنه عدّهم، وبيّن تاريخ ولادة كلٍّ منهم ووفاته[٧]؛ من أهل السودان الغربي وفاس ومصر والشام والحجاز واليمن.

روى عن ابن سِنَّة هذه الفهرسة، وشهَرَها تلميذه البارّ صالح بن محمد بن نوح العمري الفلّاني، ومن طريقه عرفها الناس[٨].

لعل هذه الفهرسة أو أسانيد صاحبها كانت معروفةً في المشرق والمغرب وفي بلاد السودان؛ بدليل أني وجدت من الشناقطة: أبا زيد عبدالرحمن بن محمد الشنقيطي- نزيل فاس الجديد؛ ومحمد الحافظ بن المختار بن حبيب بن أكريش العلوي الشنقيطي يأخذنها عن صالح الفلّاني ويفتخران بها غايةً، وكما وجدت من السودانيين: محمد بن كورد الفلاني وألفا هاشم الفوتي يرويان هذه الفهرسة عن صالح الفلّاني، وكما وجدت من المشارقة: مسند اليمن شمس الدين محمد بن سالم السري التريمي يروي هذه الفهرسة- كما في ثبته- بأسانيده إلى محمد السياح الفاسي عن ابن سِنَّة؛ وكذلك يرويها وجيه الله عبد الرحمن بن سليمان الأهدل- كما في ثبته (النفس اليماني والروح الروحاني في إجازة بني الشوكاني)- عن ابن سِنَّة بالإجازة العامة التي قدّمها له، وكما وجدت من المغاربة: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني يروي هذه الفهرسة عن صالح الفلّاني[٩].

من الأسانيد العالية في هذه الفهرسة: أنّ بين ابن سِنَّة وبين الحافظ ابن حجر العسقلاني

---

(١) محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (١٠٢٦/٢). وانظر ترجمته في: خير الدين الزركلي، الأعلام، (٦٨/٧)؛ وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د.ت)، (د.د)، (٢٢١/١١).

(٢) محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (٧٩/١).

(٣) هو صالح أحمد بن إدريس الأركاني (ت: ١٤١٨ه) في تعليقاته على كتاب (فهرس الفهارس) للكتاني المسمّاة بـ(تحفة المجالس في التعليقات على فهرس الفهارس). انظر: موقع المكتبة الشاملة: https//shamela.ws، تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٥/٧/١٢م.

(٤) (١٠٢٧/٢).

(٥) (٦٨/٧).

(٦) (٢٢١/١١).

(٧) محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ١٠٢٧/٢؛ وخير الدين الزركلي، الأعلام، (٦٨/٧).

(٨) محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (١٠٢٧/٢).

(٩) المصدر نفسه، (١٠٢٨/٢).

واســطتان فقط، هما: مولاي الشــريف ســيدي عبد الله بن محمد الولاتي عن أركماش تلميذ ابن حجر[١].

لم أقف على الوصف الماديّ لهذا الكتاب: هل هو مطبوع، أو مخطوط، أو مفقود؟!

رابعاً: (الثمار اليانع في رفع طرق المسلسلات والأجزاء والجوامع، وذكر طرق التصوف وما لها من التوابع) لمسند الحجاز والمالكية في وقته: صالح بن محمد بن نوح العمريّ الفلّاني (ت: ١٢١٨هـ):

مؤلفه هو صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر بن موسى الفلّاني، كان فاضلاً دَيّناً صالحاً ذا أســانيد عالية؛ نفع الله به كثيراً من عباده، هو أستاذ المُحدّث محمد عابد السندي، وله تصانيف حســنة ممتعة، منهــا: كتاب (إيقــاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار)[٢].

يُســمّى هذا الكتاب أيضاً بـ(إحياء مراســم الأســانيد العالية بعــد اندراســها، وتوثيق عرى المسلســلات الســامية بعد انفصامها، وإيضاح الطرق الهادية بعد خفاء أعلامها).

ووقع عنوان هذا الكتاب عند: علي الرضا قره بلــوط وأحمد طوران قره بلــوط تصحيفاً هكذا: (الثمــار اليانع في رفع طــرق المثلثات والأجزاء والجوامع)[٣].

ويُعتبر هــذا الكتاب الثبت الكبيــر للفلّاني، وقد اشتمل على تراجم مشايخه بالسودان الغربي وفــاس ومراكش وتونس ومصــر والحجاز واليمن والشام، غير أنّ المنية اخترمته قبل أن يُكمّل هذا الثبت.

ذكر الفلّاني في طالعة هذا الثبت أنه رتّبه على مقدّمة وثلاثة أقسام، على النحو الآتي:

المقدّمة: في ذكر شيء من فضائل علو الاسناد، وذكر مشايخه وما سمعه على كلّ واحد منهم.

القسم الأوّل: في أسانيد المصنّفات الحديثيّة والقرآنيــة وما يتبعها من كتــب العقائد والأصول والفقه.

والقسم الثاني: في المسلسلات.

والقسم الثّالث: في أســانيد كتب العربية، وما عداها من كتب العلوم العقلية والنّقلية.

وذيّل الأقسام الثلاثة بلاحقةٍ تشتمل على طرق الصوفيــة، ويذكر في آخره بعــض وصايا الأنبياء والعلماء والحكماء[٤].

ثم اختصر الفلّاني هذا الثبت في مؤلَّفٍ نفيس مشــهور عن المُحدّثين المتأخريــن والمعاصرين ومطبوع، فســمّاه بـ(قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر).

لم أقــف على الوصف المــادّي لهذا الكتاب: هل هو مطبوع، أو مخطــوط، أو مفقود؟! غير أن عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني قال: «وقد ظفرتُ بما وُجد من هذا الثبت العظيم بخطّ مُصنِّفه، وهو عندي، في نحو ثلاثة كراريس بخطّه الضيّق»[٥].

جعل أحمد بــن محمد بن الغمــاري «صالح الفلّانــي» فــي عــداد الكذّابين الذيــن لا يوثق بحديثهم؛ لأنّه اختلق الأســانيد، كما جعل شيخه «ابن سِنَّة الفلّاني» شــخصيةً وهمية لا وجود له، وجعل أســانيد ابن سِــنَّة من قبيل ظاهرة أسانيد

(١) يلاحظ أنّ الضعف يكثر في أسانيد العوالي في أثبات وفهارس المتأخرين، كما أنّ تطلّب العلو بالإجازة أضعف تقييد السّماعات فانقطع كثير منها.

(٢) محمد صدّيق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣/٥هـ/٢٠٠٢م، ص٦٦٥.

(٣) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، دار العقبة، قيصري/ تركيا، (د.ت)، (د.ط)، (١٢٩٢/٢).

(٤) محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (٢٨٧/١-٢٨٨).

(٥) المصدر نفسه، (٢٨٨/١).

المُعمّريـــن المجهولي الحـــال أو العين التي كثرت في أثبات المتأخرين، وألّف في ذلك كتاباً ســـمّاه: (العتب الإعلاني لمن وثّق صالحاً الفلّاني).

لا يُعتدّ بجرح الغماري للمحدّث صالح الفلّاني في مقابل توثيق مَـــن وثّقه من كبار محدّثي الدنيا في عصره ومن بعده؛ كالعلاّمة صدّيق حسن خان القنوجي، وأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، اللذَين عدّاه من مجدّدي القرن الثالث عشر الهجري[١]. والإمام الشـــوكاني الـــذي أثنى عليه بالخير، ولم يطعن عليه في الرواية[٢]. أو مَن نقلوا عنه فهرسته أو رووا بأسانيده وافتخروا بها؛ كعبد الغني بن أبي ســـعيد عبد الحق الدهلوي في كتابه (اليانع الجني من أسانيد عبد الغني).

وأمّا شـــيخه محمد بن سِـــنَّة الفلّاني فليس مجهول الحال والعين، ولـــم ينفرد صالح الفلّاني برواية فهرســـته أو أســـانيده عنه، حتى يقال: إنّه شـــخصيةٌ مُختلَقَة، بل تابع صالحاً غيرُه؛ كالشيخ محمد الســـياح الفاســـي عن ابن سِـــنَّة الفلّاني، والعلامة الشـــيخ سعيد الأســـطواني الدمشقي، والشـــيخ محمد بـــن هني بن معـــروف المجاجي الجزائري- دفين تونس، والشـــيخ عبد القادر بن مصطفى المشـــرفي المعســـكري- دفين مصر، ومفتي الحنفيـــة بالمدينة محمـــد أمين بن عمر بالي زاده الحنفي المدني، والمُحدّث محمد سعيد العظيـــم آبادي الهندي، وشـــمس الدين محمد بن حمودة قويعة السفاقسي، وغيرهم[٣]. فبذلك زالت علّة الجهالة عنه، ولم يكن ثَمَّ ممســـك للغماري في الطّعن في الشيخ صالح الفلّاني وشيخه ابن سِنَّة.

خامساً: (قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر) لمسند الحجاز والمالكية في وقته: صالح بن محمد بن نوح العمري الفلّاني (ت: ١٢١٨هـ):

يُعدّ هذا الكتاب الثبت الصّغير للمؤلف، وصفه عبد الحي الكتاني بقولـــه: «وهو مهمّ جدّاً، جامع الأسانيد وكتب أهل المشرق والمغرب»[٤].

طبـــع هذا الكتاب دار الشـــروق- مكة ســـنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، بتحقيق: عامر حســـن صبري، قال عبد الحـــي الكتاني: «ومن الغريب ما وقع في (الباقيات الصالحات) (صحيفة ٤ طبعة الهند) من نســـبة (قطف الثمر) للعجيمي، وهي نسبةٌ وهمية خيالية، وإلّا فهو للفلّاني قطعاً»[٥].

من أعلام الحديث النبوي في العصر الحديث الذين يروون هذا الثبت بوسائط عن مؤلفه:

- الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي الحنبلي (ت: ١٣١٩هـ): يـــروي هذا الثبت إجازةً عن شـــيخه حسين بن محســـن الأنصاري بأسانيده المتصلة إلى مؤلفه[٦].

- سعد بن حمد بن عتيق النجدي (١٣٤٩هـ): يروي هذا الثبت بالإجازة عن شـــيخه حسين الأنصاري،

(١) أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تح: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، (٣٩٥/١١)؛ وصدّيق حسن خان القنوجي، الحطّة في ذكر الصحاح الستة، دار الكتب التعليمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٥٣؛ ومحمد عبد الحي بن عبدالكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (٩٠٢/٢).

(٢) محمد صدّيق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، ص٦٦٥.

(٣) محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (١٠٢٨/٢).

(٤) المصدر نفسه، (٩٧٥/٢).

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) صالح بن عبد العزيز آل عثيمين، تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، تح: بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (١٧٣٥/٣).

عن شيخه محمد الحازمي، عن الشيخ محمد عابد السندي، عن مؤلفه[١].

- **السيد زكي بن أحمد بن إسماعيل برزنجي (١٣٦٥هـ):** يروي هذا الثبت عن أبيه عن جدّه عن جده عن مسند الحجاز صالح بن نوح الفلّاني[٢].

- **الشيخ عمر بن حمدان المحرسي (ت: ١٣٦٨هـ):** يرويه عن مشايخه الذين روى عنهم، وأخذ منهم إجازةً عامة بأسانيده إلى مؤلفه[٣].

- **الشيخ عبد الحي بن عبدالكبير الكتاني:** يروي هذا الثبت عن طريق جل الآخذين عن مؤلفه؛ كمحدث الشام وجيه الدين الكزبري، والحافظ محمد بن عابد السندي، وألفا محمد هاشم الفوتي، وشهاب الدين أحمد بن إسماعيل البرزنجي[٤].

- **العلّامة حمّادي بن محمد الأنصاري (ت: ١٤١٨هـ):** يروي هذا الثبت عن أبي محمد عبد الحق الهاشمي، عن أحمد بن عبد الله البغدادي، عن محمد بن عبد الله بن حميد المكي ونعمان الألوسي، عن محمود الأفندي البغدادي، عن عبد الرحمن بن محمد الكزبري، عن المؤلف[٥].

- **الشيخ عمر بن محمد فلاتة (ت: ١٤١٩هـ):** يرويه عن شيخه عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي، عن محمد الطيّب الأنصاري، عن ألفا هاشم الفوتي، وعن علي بن طاهر الوتري، وهو عن صاحب الثبت المشهور بـ(اليانع الجني) للشيخ عبد الغني، عن محمد عابد السّندي، عن مؤلفه صالح الفلّاني.

- **أبو صفوان ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي:** يروي هذا الثبت بطرق كثيرة منها: عن شيخه عبدالفتاح بن حسين راوه والشيخ المعمر عبد الله بن أحمد الناخبي، كلاهما عن عمر بن حمدان المحرسي، عن أبي النصر محمد بن عبد القادر بن صالح الدمشقي الخطيب، عن وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد الكزبري، عن مؤلفه[٦].

سادساً: (أسانيد الفقير المعترف بالعجز والتقصير في بعض ما أخذ بالقراءة أو بالإجازة) لعثمان دان فودي محمد الفلّاني (ت: ١٢٣٣هـ):

مؤلف هذا الثبت هو عثمان بن محمد فودي بن عثمان بن صالح بن هارون، وينتهي نسبه إلى جدّه الأعلى موسى جكولو[٧].

وُلد عثمان سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م، وتوفي في مدينة سكتو قاعدة دولته التي كان قد أسسّها، وعمّرت الدولة مائة عام قبل دخول الإنجليز إلى نيجيريا[٨].

تلقى تعليمه الأوّلي في حجر أبيه، ثم تلقى تعليمه العالي على عدد كبير من علماء منطقته من الفلّانيين والهوساويين والبرناويين، ذكرهم شقيقه في فهرسته (إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشّيوخ).

(١) سعد بن حمد بن عتيق النجدي، إجازتان للمحدث العلامة سعد بن حمد بن عتيق النجدي، تح: محمد زياد بن عمر التكلة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م، ص١٠٠.

(٢) أنس يعقوب كتبي، أعلام من أرض النبوة، (د.د)، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص١١٨.

(٣) د. رضا بن محمد صفي الدين السنوسي، محدث الحرمين عمر بن حمدان بن عمر المحرسي المكي المدني العلامة الثبت المسند الإمام (١٢٩٢-١٣٦٨هـ)، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنوّرة، ص (٨٠-٨١).

(٤) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (٢/٩٠٤-٩٠٥).

(٥) عبد الأول بن حماد الأنصاري، المجموع في ترجمة العلّامة المحدّث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، ط١/، (د.د)، (١/١٦٢).

(٦) الوجازة في الأثبات والإجازة، دار قرطبة للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٨ه، ص٢٤٣.

(٧) عبدالله دان فودي محمد الفلّاني، إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ، ص١١.

(٨) آدم عبدالله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلّاني، دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٩٢.

سَـمّى أحمد بلعـراف التّكني هـذا الكتاب بـ«أسانيد الضعيف»[١].

وسـمّاه محمـد عبد الحي بن عبـد الكبير الكتانـي أيضاً بـ«فهرسـة أبي عمـرو عثمان بن محمـد المعروف بابـن فودي السـوداني»[٢]، ثمّ وصفه بقوله: «تأليف صغير الحجم في أسانيده»[٣] أي عثمان دان فودي.

لقـد جمع الفلّانـي في هذا الكتاب أسـماء شـيوخه الذين أخذ عنهم العلم، مع بيان ما أخذه عن كل شـيخ من الكتب والعلوم، وما حصّله منهم من الإجـازات دون الاهتمـام بذكر بالأسـانيد المتصلة إلى مؤلفيها.

يلاحظ في بعض أسانيد هذه الفهرسة وجود ظاهرة خرافية تكثر في فهارس وأثبات المتأخرين، وهي دعـوى الرواية عن قضاة الجـنّ ومؤدّبيهم. بحيث زُعـم أن دان فودي محمـد روى الحديث المسلسل بالفاتحة من طريق الجنّ عن شيخه أبي الأمانة جبريل بن عمر وولـده أبي التوفيق عمر، وهما عن الحافظ مرتضى الزبيدي بأسانيده[٤].

لعل هذه الفهرسـة كانت معروفة في المشرق والمغرب قبل العهد الاستعماري؛ بدليل أني وجدت ابـن التهامي ابن عمر الرباطـي (ت: ١٢٤٤هـ)- دفين مكـة المكرمة- يرويها عـن الجوال أحمد بن الفغوردوا السوداني عن مؤلّفها، وعن الرباطي يرويها عبدالحي بن عبد الكبير الكتاني المغربي[٥].

لم أقف على الوصف المادي لهذا الكتاب: هل هو مطبوع أو مخطوط أو مفقود؟! غير أن د. حسن عيسى عبد الظاهر وصفه ونقل منه مقتطفات في كتابه (الدعوة الإسلامية وقيام دولة الفلّاني)[٦].

ليـس من الدقة ما ذهب إليه أ.د. علي يعقوب مـن أنّ عثمـان دان فـودي يكاد ينفرد بالسّـند (الفهرسـة أو الثبت) في البلاد السـودانية، وأنه يكاد يكون شـبه منعدم فيها[٧]. بل هناك أسانيد وفهارس أخرى مشهورة غير هذه الفهرسة كما ترى في هذه المقالة.

سابعـاً: (إيـداع النسوخ من أخـذت عنه من الشيـوخ) لعبـد الله دان فـودي محمـد الفلّاني (١٢٤٥هـ):

مؤلف هذا الكتاب هو أبو محمد عبد الله دان فودي محمد بن عثمان بن صالح بن هارون؛ شقيق عثمان دان فودي.

وُلد سنة ١١٨٠هـ في قرية دغل التابعة لمملكة غوبير، وحفظ القرآن على يدي والده، ثمّ شرع في تحصيل المبادئ الأوّلية للعلوم الإسلامية على يدي أخيـه عثمان، ثمّ واصل تعليمه على أيدي شـيوخ آخرين من علماء منطقته[٨].

يُعتبر هذا الكتاب فهرسة شيوخ الفلّاني؛ فقد عرّف بهـم فيه، وبيّن ما أخذ مـن كلٍّ من الكتب والعلـوم النقليـة والعقلية والإجـازات دون ذكر الأسانيد، ربما عرّف ببعض شيوخ شيوخه؛ إشهاراً لهـم، وتعليماً لمن جهلهم، وإعلاماً لمسـتنده في النقل، لكنه في أثناء ترجمته لشـيخه وولده فودي

(١) إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، دراسة وتحقيق وتقديم: د. الهادي المبروك الدالي، الشركة العامة للورق والطباعة، الزاوية، طرابلس/ ليبيا، (د.ت)، ص١٨١.

(٢) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (٢٧٩/١).

(٣) المصدر نفسه، (٧٧٧/٢).

(٤) المصدر نفسه، (٧٧٧/٢).

(٥) المصدر نفسه (٢٧٩/١).

(٦) ص٢٢٠، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨١م.

(٧) جهود علماء السودان الغربي في خدمة الحديث النبوي – علماء دولة الشيخ عثمان بن فوديو نموذجاً، مجلة العلماء الأفارقة، ص١٢٥.

(٨) عبد الله دان فودي محمد الفلّاني، إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ، ص (٤-٥).

محمـــد تحدّث الفلّاني في هذا الثبت عن نســـبه وقبيلته ومهاجرها من فوتا تـــورو إلى مدينة كانو بشـــمال نيجيريا، ثمّ نظم هـــذا الثبت في خاتمته في ٢٢ بيتاً.

ألّف الفلّاني هذا الثبت لحفيدة شقيقه، وهي فاطمة بنت محمد بيلّو بن عثمان دان فودي محمد، في رمضان سنة ١٢٢٧هـ.

لأهمية هذا الثبت طبعته مكتبة نولا، في مدينة زاريا/ نيجيريا سنة ١٩٥٨م[١]، ثمّ أعاد طبع الكتاب مكتبة مالم كبرا في كانو/ نيجيريا ســـنة ١٤٣٤هـ بتحقيق: الفاتح قريب الله الناصري الكبرى.

الخاتمة:

لفهـــارس شـــيوخ منطقـــة غـــرب إفريقيا وإجازاتهم أهمية كبرى خلال القرنين ١١ه-١٣ه في نشـــر العلوم الإسلامية بالأسانيد المتصلة، وتخليد ذكرى مشـــايخ العلوم في صحائف العلم والزمان؛ فبذلك تكون الفهارس من مناجم كتب التراجم والطبقات والتاريخ، والدلالة على أهلية صاحبهـــا للتصدر في التدريس لنشـــر مختلف العلـــوم والكتب التـــي تحمّلهـــا، وكونها أفضل الوســـائل للإبقاء على تسلسل الإسناد الذي هو من خصائص الأمة المحمّدية، ولها إسهامٌ كبير في الكشف عن جانب من تاريخ الحركة العلمية والثقافية للمنطقة.

بناءً علـــى هـــذه الأهمية التـــي للفهارس والإجـــازات؛ اهتمّ علماء غربـــي إفريقيا بنيلها حال التحمّل من بعض أساطين العلم؛ سواءً من داخل علماء المنطقة أو خارجها؛ سواءً كان ذلك التحصيل عن طريق السماع والقراءة على الشيخ (العرض)، أم عن طريق المكاتبات، أم عن طريق رحلات الحج.

بعد تحصيل بعض علماء غربي إفريقيا العلوم والكتب والإجازات؛ رأوا أن يُدوّنوا تلك المرويات والإجازات بأســـانيدها المتصلة أو مجرّدة منها في الأثبات والفهـــارس؛ وكان يحرّكهم إلى هذا النوع من التصنيف دوافع كثيرة متنوّعة.

وتنوعت فهارســـهم من حيث أسلوب الكتابة إلى ثلاثـــة أنواع: فهـــارس مطوّلـــة، وفهارس متوسّطة، وفهارس موجزة.

واختلفـــت طرائـــق ومناهج ترتيـــب علماء غـــرب إفريقيـــا لفهارس شـــيوخهم؛ إذ لوحظ وجـــود طريقتيـــن: تبويبها على أســـاس الكتب حسب موضوعاتها، وترتيبها على أساس أسماء شـــيوخه، سواءً كان ذلك وفق حروف المعجم أو عدم مراعاة ذلك.

كما بينت الفهـــارس أن التفاعل العلمي بين غرب إفريقيا والشرق الإسلامي العربي كان قويّاً ومتعدد الأبعاد، إذ شملت الرحلات العلمية إلى الحجاز والمغرب ومصر، ونقل الكتب والمناهج، والحصول على الإجازات من كبار علماء الحجاز والمغـــرب ومصر واليمن، ما يـــدل على انفتاح علماء غرب إفريقيا علـــى التيار المعرفي العام للعالم الإسلامي واندماجهم في شبكاته العلمية.

كما أن التصنيف في الفهارس والأثبات كان عنصراً محورياً في بنـــاء الذاكرة العلمية لغرب إفريقيا، وأن هذه الفهارس تُمثّل مصدراً أساسياً لفهـــم حركة العلم، وشـــبكات الاتصـــال، ونقل المعرفة، إضافةً إلـــى دور العلماء الأفارقة في الحفاظ على التراث العلمي الإسلامي وتطويره عبر القرون ■

(١) موقع معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين: http://www.almoajam.org/index.html. تاريخ الاقتباس: ٢٠٢٥/٨/٩م